

عزيز نسين

آه منا نحن معشر الحمير

نقلها عن التركية: جمال دورمش

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية - 1996

دار الطليعة الجديدة

سوريا - دمشق - ص.ب 34494
هـ: 7775872

تصميم الغلاف: جمال سعيد

تنفيذ وإخراج: هالة فطوم

لوحة الغلاف للفنان: موفق قات

آد منا نحن معشر الحمير

كنا، نحن معشر الحمير، سابقاً نتحدث بلغة خاصة بنا، أسوة بكم معشر البشر، هذه اللغة كانت جميلة وغنية، ولها وقع موسيقي جذاب. كنا نتكلم ونغني. لم نكن ننهق مثلما عليه الحال الآن. لأن النهيق بدأ عندنا فيما بعد، وتعلمون أن جميع حاجاتنا ورغباتنا وحتى عواطفنا، نُفصح عنها الآن بالنهيق.

ولكن ما هو النهيق؟ هاق، هاق.

هو عبارة عن مقطعين صوتيين، أحدهما غليظ وثخين، والآخر رفيع، يصدران الواحد إثر الآخر.

هذا هو النهيق... الذي بقي في لغتنا، لغة الحمرة، لكن كيف تغيرت هذه اللغة حتى أصبحت بهذا الشكل؟

ألا يهملك معرفة هذه الحكاية وكيف حدثت؟

حسناً إذاً، بما أنكم تهتمون بذلك، سأرويها لكم باختصار، لجم الخوف ألسنتنا وذهب بعقولنا، وبسبب الخوف نسبنا للغتنا الحميرية.

في غابر الأزمان كان يلهو حمار هرم وحده في الغابة، يغني بعض الأغاني بلغة الحمير ويأكل الأعشاب الغضة الطرية، وبعد فترة من اللهو تناهت إلى منخريه رائحة ذئب قادم، من بعيد. رفع الحمار رأسه عالياً وعب الهواء ملئاً برثتيه وقال: «لا يوجد رائحة ذئب، لا، لا ليست رائحة ذئب»، وتابع لهوه قافراً من مكان إلى آخر، ولكن الرائحة أخذت تزداد كلما دنا الذئب أكثر. هذا يعني أن المنية تقترب.

- قد لا يكون ذئباً، قد لا يكون، ولذلك حاول الحمار الهرم أن يطمئن نفسه، إلا أن الرائحة كانت تزداد باطراد، فلما ازداد الذئب اقتراباً،

كانت فرائص الحمار ترتعد رعباً ، ومع ذلك كان يحاول إقناع نفسه بأن القادم ليس ذنباً .

- إنه ليس ذنباً ، إن شاء الله كذلك ، ولم يكون كذلك؟ ومن أين سيأتي وماذا سيفعل؟ وهكذا ظل الحمار الهرم يخدع نفسه ، حتى بات يسمع صوتاً غير مستحب ، صوت وقع أقدام الذئب القادم .

- إنه ليس ذنباً ، لا ليس صوت ذئب ، ولا يمكن أن يكون كذلك ، وماذا سيعمل الذئب هنا ، ولم سيأتي؟؟؟

ومع اقتراب الذئب أكثر فأكثر أخذ قلب الحمار يخفق وعيناه ترتجفان ، وعندما حدّق عالياً صوب الجبل ، رأى ذنباً مندفعاً مخلفاً وراءه سحباً من الغبار .

آه آه .. آه إنه ذئب ، أكنتُ أحلم بذلك؟ قد يكون خيل إليّ أن ما أراه ذنباً أو كنت أحلم بذلك .

وبعد فترة ليست طويلة رأى ذنباً ، قادماً من بين الأشجار ، مرة ثانية حاول أن يطمئن نفسه قائلاً :

- أتمنى أن لا يكون ما أراه ذنباً ، إن شاء الله لن يكون كذلك ، ألم يجد هذا اللعين مكاناً آخر غير هذا المكان؟ لقد أصاب الوهن عيني ، لذلك أخذت أرى هذا الشيء القادم ذنباً .

تقلصت المسافة بينه وبين الذئب حتى أصبحت خمسين متراً . أيضاً حاول طمأنة نفسه قائلاً :

- إن شاء الله أن يكون ما أراه ليس ذنباً ، قد يكون حملاً أو فيلاً أو أي شيء آخر . ولكن لم أرى كل شيء بهيئة ذئب؟ .

- أعرف تماماً أن ما أراه ليس ذنباً ، ولكن لم لا أبتعد قليلاً .

أخذ الحمار الهرم يبتعد قليلاً ناظراً إلى الوراء ، أما الذئب فقد اقترب منه فاغراً فاه .

- حتى لو كان القادم ذنباً ماذا سيحصل ... لا ، لا لن يكون ذنباً ، ولكن لم ترتعد فرائصي؟

جهد الحمار الهرم أن تكون خطواته أسرع، حتى بات يركض بأقصى سرعة أمام الذئب المندفع.

- آه كم أنا أحمق فقد صرت أظن القطّ ذئباً وأركض هكذا كالمعتوه، لا ليس ذئباً... زاد الحمار من سرعته حتى أخذت ساقاه ترتطمان ببطنه ومع ذلك استمر في خداع نفسه قائلاً:

- حتى لو كان الذي أراه ذئباً، فهو ليس كذلك، إن شاء الله لن يكون كذلك.

نظر الحمار الهرم وراءه فرأى عيني الذئب تشعان وتطلقان سهاماً نارية، وتابع ركضه مطمئناً نفسه بقوله:

- لا، لا يمكن أن يكون ذئباً.

نظر الحمار خلفه عندما شعر بأنف الذئب يلامس ظهره المبلل، فوجده فاغراً فمه فوق ظهره.

حاول الركض إلا أنه لم يستطع ذلك لأن قواه خانت، فأصبح عاجزاً عن الحراك تحت ثقل الذئب، ولكي لا يراه فقد عمد على إغلاق عينيه وقال:

- أعرف تماماً أنك لست ذئباً.

- لاتدغدغ مؤخرتي إني لأحب مزاح اليد.

غرز الذئب الجائع أسنانه في ظهر الحمار الهرم، ونهش منه قطعة كبيرة، ومن حلاوة الروح، كما يقولون، إرتبط لسان الحمار ونسي لغته.

- آه آه إنه ذئب آه، هو آه هو... ..

تابع الذئب النهش من لحم الحمار الهرم ذي اللسان المربوط، حيث لا يصدر منه سوى آه هو... هاق... هاق.

منذ ذاك اليوم نسينا أيها السادة، ولم نستطيع التعبير عن رغباتنا وأفكارنا إلا بالنهيق.

ولو أن ذاك الحمار لم يخدع نفسه، لكننا نجيد الحديث بلغتنا إلى الآن. ولكن ماذا أقول آه منا نحن معشر الحمير.. هاق... هاق...





مد ين لك بسعادي

- لقد تعرفت على فتاة رائعة الجمال يا صديقي

- هل هي جميلة؟

- ماذا تقول!!... انظر إلى صورتها كم هي رائعة الجمال.

- حقاً إنها جميلة جداً.... ولكن حافظ عليها ولا تفرط بها.

- نعم، نعم لن أفرط بها.

- وهل أظهرت لك مودتها؟

- أحياناً...

- إذا حاول أن تستحوذ على قلبها.

- حسناً سأحاول إظهار جل براعتي في هذا المجال.

* * *

- ما هي أخبارك يا صديقي، وهل من جديد؟

- والله، كل شيء على ما يرام، فكما قلت لك سابقاً لقد تعرفت على

فتاة رائعة الجمال.

- ايها ههيه؟

- أحبها يا صاحبي، أحبها بجنون ولا أستطيع الابتعاد عنها، والعيش

بدونها ضرب من المستحيل، تصور أن أوار حبها يتأجج في قلبي.

- وهل هي تحبك أيضاً؟

- لا أدري!....

- إذا حاول أن تجد إلى قلبها سبيلاً.

- وكيف ذلك؟

- كما تعلم يا صديقي فإنني أمتلك التجربة في هذا المضمار. حاول أن تفرقها بالهدايا خاصة بالزهور، فالنساء كما تعلم يعشقن الزهور، خاصة القرنفل الأحمر، كذلك حدثها بشكل دائم عن ذكائك الرفيع.

* * *

- لا أدري كيف أعبر لك عن شكري وإمتناني.

- ماذا حصل؟

- كأنك يا عزيزي تعرف تماماً كل رغباتها، لقد نفذت وصفتك كاملة، ولذلك أخذت تنظر إليّ نظرة حب ومودة. بربك قل لي وماذا أفعل بعد ذلك؟

- حاول أن تأخذها إلى دور السينما ولكن، إياك والأفلام الجادة، حاول أن تكون جميع الأفلام تراجيدية أو كوميدية أو موسيقية... وعندما تخرجان من دار السينما عرجاً على بائع المربطات، وحاول أن تدعوها لتناول البوظة بالكريمة. كذلك أن تقتني في جيبك قطعاً من الشوكولا.

* * *

- ذهبنا البارحة إلى دار السينما، وهناك أعطيتها قطعة الشوكولا، لقد فرحت كثيراً وبعد انتهاء عرض الفيلم عرجنا على بائع المربطات وتناولنا البوظة بالكريمة - إنك ذو ذوق رفيع - سنحاول الذهاب في نهاية هذا الاسبوع إلى منطقة بعيدة وجميلة، لذلك ما هي نصيحتك بهذا الخصوص؟

- أستطيع القول، حسب تجربتي الشخصية.. أن أفضل منطقة هي «بويوك ادا» (الجزيرة الكبيرة) هناك حاولا التجوال على ظهور الحمير، اجلسا على الشاطئ، وارقصا، ولكن انتبه، إياك ومراقبة الأخريات.

- آخ يا صاحبي!.... لو أستطيع الاستحواذ على قلبها.

- ستنجح في ذلك لا محال. إذا نفذت كل ما أقوله لك.

- ولكن لا أعرف كيف أعبر لك عن شكري الجزيل.

- أستغفر الله، ما هذا الكلام يا صاحبي، أنا لم أفعل شيئاً سوى أنني أحاول نقل تجربتي الخاصة كي تستفيد منها.

* * *

- هاه، قل لي هل تنزهتم الأسبوع الماضي؟
- نعم... رحنا وتسلينا كثيراً لكن، وإلى الآن لم استطع الحصول منها على أي شيء.

- قالت إنها متزوجة لذلك فإن جميع مشاورينا كانت ناشفة.
- ولكن لم تقل لي... هل تحب زوجها؟
لا... على العكس فهي تنعت زوجها بالأبله كالحمار، وبالجلف الذي لا يعرف التعامل معها.

- مسكينة هذه المرأة، ولكن لم لا تنفصل عنه؟
- لقد لمحت ذات مرة قائلة: «لو أستطيع الاعتماد عليك لانفصلت عن زوجي» ولا أدري ما العمل؟.
- لا تتركها، حاول أن تكون صديقها الصدوق، والمعين الوفي.

* * *

- ماذا حصل، وما فعلتما؟
- لا تسألني يا صاحبي... إلى الآن لم أستطع الحصول على قبلة واحدة منها، إنها خجولة جداً، ولكنني واثق من حبها لي.
- حاول أن تستمر بإغراقها في الهدايا، ولا تنسَ العطور الفاخرة والنوع «سكاندال» (الفضيحة). كذلك يجب أن تهديها أقمشة ذات لون سماوي أو أزرق.
- وإذا عرف زوجها بالأمر فما العمل؟!...

- من أين سيعرف، أليست هي القائلة بأن زوجها رجل معنوه وأحمق؟
وإذا كنت ترغب في أن أذهب معك لشراء الأقمشة فلا مانع لدي.
- حسناً يا صديقي، وبأقصى سرعة إن أمكن.

* * *

- ما هي الأخبار؟
- سارة جداً يا عزيزي.
- هل تعلم بأنها فرحت كثيراً عندما أهديتها زجاجة العطر، وقالت أنه عطرها المفضل، وعندما رأت قطعة القماش... تصوّر يا عزيزي بأنها كانت ستفقد صوابها من شدة الفرح، ولكن إلى الآن ما زلنا كالمراهقين.
- حاول أن تقرأ لها بعضاً من أشعار يحيى كمال. وقل لها بأنك راغب في الزواج فيما لو انفصلت عن زوجها.

* * *

- ما بك يا صديقي، منذ فترات طويلة لم ألتق بك، أين أنت؟
- مشاغل الحياة يا صاحبي! انفصلت تلك المرأة عن زوجها.
- وهل ستتزوجها؟
- بالطبع، ولم لا؟؟؟
- ولكن لاتضيع الفرصة، هيا أسرع بزواجك منها قبل أن يطرأ على علاقتكما أي جديد.

* * *

- لا أعرف كيف أعبر لك عن شكري وامتناني؟
- لقد تزوجنا البارحة وبذلك أكون مدين لك بسعادتي.
- وأنا بدوري لا أدري كيف أرد لك جميلك، فأنا مدين لك بسعادتي لأنني انفصلت عن زوجتي.

□ □ □



القطة السعيدة

التقت مجموعة من الأصدقاء والمعارف في حفل افتتاح معرض للفنون الخزفية الذي أقامته إحدى فناناتنا المشهورات.

ساد اللقاء جو من الحديث الشيق والحر، هذا يناقش صديقه، وذاك يعاتب صاحبه وهكذا.. أثناء ذلك تقدمت فنانة أخرى قائلة: «يا أولاد، البارحة حلمت حلماً...»

قاطعها أحد الشعراء: «أكان مزعجاً؟»

لا أدري ، لكن أما من أحد يفسر حلمي؟

وراحت الفنانة تحدثنا عن حلمها.

كنت سائرة بين مجموعة من الأشخاص، هذا ذاهب إلى عمله وذاك عائد منه، أما أنا فقد كنت هناك، كما أسلفت، ذاهبة إلى مكان ما، وفجأة سمع صوت أحدهم يقول: «أنا...!!».

استدار الجميع إلى مصدر الصوت. بينما راح صاحبه يتابع ما بدأ به: «أقول لكم ليقف كل في مكانه».

«فوقفنا جميعاً...»

سألها أحد النحاتين: «ولم وقفتم؟».

ردت عليه الفنانة قائلة: «ومن أين لي أن أعرف، المهم وقفنا، ألم أقل لك مجرد حلم».

تابع صاحب ذاك الصوت قائلاً: «والآن ليرسم كل منكم دائرة بالطباشير حول نفسه». فظهر بيد البعض قطع من الطباشير ورسم كل منهم دائرة حول نفسه.

لكن أحد المتواجدين هناك استفسر قائلاً: «ليس لديّ طبشورة ماذا عساي أن أفعل؟»

أجابه ذاك الرجل: «من ليس لديه طبشورة ليرسم بقلمه».

راح البعض يرسم دائرته، بقلم رصاص والآخر بالمداد الجاف أو السائل بحثت ملياً في حقيبة يدي، عليّ أجد قلماً ولكن عبثاً ولحسن الحظ لم أكن الوحيدة في ذلك، حيث ظهر عدة أشخاص لا يملكون أقلاماً.

لا أدري ما سبب الخوف الذي تسلل إلى أعماقي حتى رحست أرتجف وترتعد أوصالي، أحد أقراني ممن ليس لديهم قلم سأل صاحب ذاك الصوت: «ليس لدينا أقلام، ما العمل؟».

ردّ عليه قائلاً: «من ليس لديه قلم ليرسم دائرته بنفسه».

وضعت كعب قدمي كمركز فرجار ورحت أدور حول نفسي راسمة دائرتي المطلوبة.

أحد الحضور سأل فنانتنا:

- ولم رسمت الدائرة؟

- ما هذا السؤال! ألم أقل لك أنه مجرد حلم.

تدخل ممثل آخر بالحديث قائلاً: «إن الأحلام عادة لا تتسم بالواقعية».

وهكذا دبّ النقاش بين الحضور حول واقعية الأحلام.

وفي النهاية توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الأحلام ليست منطقية ولا واقعية.

بعدما رسم الجميع دوائرهم، طلب صاحب ذاك الصوت عدم مغادرتها، وبالفعل تجاوب الجميع للأوامر. وبذلك أصبحنا أسرى دوائرنا.

سألها أحد الشعراء: «ألم تستطيعوا الخروج من هذه الدوائر إطلاقاً؟»

ردت عليه قائلة: «لا، لم نستطيع الخروج بتاتاً».

- ولماذا؟

- يا أخي ممنوع، ممنوع الخروج من الدوائر، ممنوع ألا تفهم؟

عاود أحد النحاتين وسألها: «حسناً فهمنا أنه ممنوع، لكن لماذا؟»
استشاطت الفنانة غضباً إلا أنها كبتت غيظها وقالت: «يا روجي ألم أقل لكم أنه مجرد حلم». أهنأك أسباب ومسببات في الأحلام. وهكذا بقينا داخل دوائرنا.

- حسناً ولكن ليس لديك دائرة؟.

- ألم أرسمها على الهواء؟

- لكنها ليست مرئية، وحدودها ليست واضحة.

- لم أستطيع الخروج منها، ولكن كيف؟ لا أدري!

- لم لاتخرجي من دائرتك وما المانع؟.

- لأنه لا أحد يخرج من دائرته كي أتشجع وأخرج بدوري.

- ولم؟

- آه (أمان يا ربي)، لم لم ألم أقل لكم أنه مجرد حلم.

- آه نعم.

- رغبتني كانت جامحة للخروج... لو أستطيع مدّ إصبعي كي تمحو ما رسمته، حاولت ذلك لكن صراخ صاحب ذاك الصوت زلزل أحشائي - لا أحد يمحو دائرته - وهكذا أصبحت أسيرة دائرتي.
ولكن - قال أحد الممثلين - منذ البداية كان عليك أن لا ترسمي تلك الدائرة.

- أنت محق بذلك، ولكن عزائي أنني لست الوحيدة حبيسة دائرتها، لقد أشفقت كثيراً على ذلك الشاب المشلول سمعته يقول: «عشرون عاماً وأنا طريح الفراش لا أستطيع الحراك، أما الآن وبعد احتباسي داخل هذه الدائرة، تولدت في أعماقي رغبة راحت تمزقني وتدفعني للخروج من هذه الدائرة».

- ولكن كيف ستخرج، وأنت لا تستطيع الحراك؟.

- كما قلت لحظة احتباسي داخل هذه الدائرة اللعينة، شعرت بأنني قادر على الخروج مشياً، بل قولي ركضاً، لو يسمح لنا بإزالة هذه الدائرة!.

إلتفتُ إلى الراء وإذا بي أمام امرأة نائمة، نظرت إليها بإمعان وجدتها بلا روح، نعم بلا روح، ولكن الغريب بالأمر أنها تتكلم وتقول: آه.. لو تمسح هذه الدوائر لخرجت وتفسحت قليلاً.

سألتها: «أيعقل هذا، أنت ميتة وتتكلمين؟»

ردت عليّ قائلة: «منذ أن فارقت الحياة ورغبتني في القيام بالزيارات، ماتت في أعماقي، لكن منذ أن حبست داخل هذه الدائرة عادت هذه الرغبة تتفجر في أعماقي من جديد، آه، لو لم أكن أسيرة دائرتي، لاستطعت المسير والزيارات مثلكم أيها الأحياء».

التفتُ ثانية إلى الأمام وإذا بي بشاب مفلوج يقول: «آه لو يخرج أحدهم ويزيل خط دائرتي ويخرجني من هنا ويخلصني من هذا البلاء».

قلت له:

- أنت مفلوج ولا تستطيع الحراك، كيف رسمت هذه الدائرة.
أجابني قائلاً:

- نعم، معك حق، أنا لم أرسم دائرتي بيدي، بل برأسي، وإن ما قمت برسمه لم يكن سوى مشروع دائرة.

جميعنا هنا محتجزون داخل دوائرنا، رسمناها بأيدينا أو بأقلامنا وحتى برؤوسنا ولا نستطيع الخروج منها، وبذلك نقف عاجزين أمام دوائرنا.

بعد فترة احتباس داخل الدوائر، راحت تتغير العبارات، وتصبح على الشكل التالي: «آه لو يأتي أحدهم ويمسح دوائرنا، ويخلصنا منها، وهكذا راحت الأصوات تتعالى: «آه لو يأتي أحدهم وينقلنا، آه لو يأتي أحدهم وينشلنا من دوائرنا».

وباعتبار أن الجميع كان يردد هذه العبارات، لذلك رحت بدوري أردد نفس العبارة. أثناء ذلك راح الليل ينسج خيوطه المظلمة ويلقيها علينا.

آه سأفقد عقلي أما من منقذ ينقذنا؟

فجأة صدر صوت جديد وبنبرة جديدة: «آه.. لو يخرج أحدهم من دائرته لخرجت مباشرة».

وهكذا رحنا نردد نفس العبارة، راحت الأصوات تتعالى: «ليخرج ذاك الشخص وليكن من مكان».

ولكن رغم جميع الصوات لم يخرج هذا (الأحدهم)، ويقول: أنا هو الذي تبحثون عنه.

غطت الظلمة جميع أصقاع المنطقة ونحن ما زلنا محتبسين رهن دواثرنا. في تلك الأثناء راحت قطعة ذات عيينين براقنتين تصول وتجول بين دواثرنا، لا أحد يردها أو يقول لها من أنت وإلى أين ذاهبة؟

قلت بيني وبين نفسي، آه لو كنت قطعة، ما أسعد هذه القطعة. راح الجميع يحسد القطعة على حريتها.

كم هي ذكية هذه القطعة، وكأنها عرفت ما يجول في أعماقنا، لذلك راحت تعاكسنا غير آبهة بأحد.

انزعجت كثيراً من هذه القطعة، وعلى أثر ذلك فتحت عيني، وإذا بي سابحة في بحر من العرق. وبعد أن أنهت فنانتنا حديثها عن حلمها قالت: - والآن أما من أحد يفسر حلمي.

حاول أحد الكتاب التظاهر بالمعرفة إذا قال: «عندما لا يستطيع المرء أن ينجح في أن يسلك سلوك الانسان، يحاول أن يهتم بسعادة القطط، على كل ساقوم بكتابة كل ما تحدثت به.

تدخلت تلك الفنانة منزعة: «ولم ستكتب؟».

تدخل النحات قائلاً: «قد يجد أحد القراء في نفسه الكفاءة ويلقي بنفسه خارج دائرة، وبذلك يظهر هذا الأحدهم الذي كنتم تبحثون عنه، وتخرجون من دواثركم.





من يأكل الحصرم ومن يضرس؟

مرّ بجميع مكاتب التشغيل بلا استثناء، والرد الوحيد دائماً «دع عنوانك وسنخبرك عند اللزوم». عند عودته إلى البيت، وفي كل مرة كانت زوجته تقابله بسؤالها المعهود والممل: «هل وجدت عملاً؟»

ولكن، في هذه الأيام، أن تجد نقوداً في الطرقات أهون من أن تجد عملاً وكثيراً ما كانت زوجته ترخي العنان لقنابلها الثقيلة: «لم أر رجلاً مهملاً وأحمق، وعديم الثقة بنفسه مثلك».

- وعدني أحد الأصدقاء بأن يساعدني غداً.

- وبماذا سيساعدك؟ هاه!

- بإيجاد عمل يا حياتي.

- لقد خلقت الزوجة من هذا الرجل الملاك أكبر كذاب.

- وأي عمل هذا؟

- عمل رائع، وعال العال.

- فهمنا، ولكن ما العمل؟

- العمل يقوم به المرء بقدميه وهو جالس في مكانه!

- وأي عمل هذا الذي تتفصح به؟!

- نعم... العمل على مكنة الخياطة.

- وكم سيدفع لك؟

- ثلاث مئة ليرة.

استفساراتهم وحديثهم السفسطائي والخالي من الطعم كثيراً ما كان يستمر لساعات طويلة.

في اليوم التالي سألته زوجته :

هل بدأت العمل؟

- ذهبت... ولكن لسوء الحظ فقد توفيت زوجته ، الله يرحمها...
وتأجل الموعد إلى يوم الأربعاء.

الأربعاء..... الخميس... وتقالى الألاعيب والأكاذيب التي لاتنتهي.

و ذات يوم طفق الكيل ، كما يقولون ، فهددته زوجته : «تعلمت على الكسل، لذلك إن لم تجد عملاً ، فوالله العظيم لن أدخلك هذا البيت».

في ذات اليوم وضع عنوانه في أربعة أو خمسة مكاتب. وفي المساء عاد إلى المنزل فراح يطرق الباب طرقات سريعة صائحاً بأعلى صوته...
- البشارة... البشارة يا زوجتي تهانينا ، وجدت عملاً وبدأت به مباشرة.

فتحت الزوجة الباب سعيدة بزوجها ، وهو بدوره راح يحدثها عن هذا العمل بل أخذ يجمله بنظرها لدرجة بات يصدق ما يقول.
- هيا يا عزيزي نم باكراً ، كي لا تتأخر صباح الغد.

وفي الصباح شيعت الزوجة ، بعلمها متمنية له الخير والنجاح ، أما هو فقد أخذ يتسكع باحثاً عن عمل في الشوارع الحدائق. وعند المساء عاد إلى البيت وراح يصرخ ويهدد مثل كل الرجال.

استمرت هذه الحياة المليئة بالأمل لمدة خمسة وعشرين يوماً. ولكن المسكين راح يضطرب أكثر ، فأكثر مع دنو قبض الراتب.

كان قد أبلغ زوجته بأنه سيقبض ثلاث مائة ليرة ، لذلك كانت تخطط في سبل صرف المبلغ المحترم.

قال لها :

- خذي الأولاد ، واذهبي إلى أمك ، وفي أول الشهر تعودين!

حملت المسكينة أولادها ميممة شطر أمها دون أن تنبس ببنت شفة.

أما الرجل النشيط فقد اتخذ قراره في السرقة، عاين الشقة التي سيدخلها. في الليلة الأخيرة من الشهر.. أخذ يتجول حول البناء المذكور، لحظات وانطفأت الأنوار في الشقة المستهدفة، وفي الطابق الثاني كانت الأسرة صاحبة الشقة معتادة على الخروج من المنزل في مثل هذا الوقت، إما إلى السينما أو للسهر عند الجوار.

خطة رائعة، وحظ أروع، إذ كان يستطيع الدخول دون وجل، دار خلف البناء، لم يكن هناك من أحد، تسلق جدار الحديقة المنخفض، تمسك بحديد النافذة السفلية. ثم تسلق ماسورة وبهذا الشكل لم يكن الصعود إلى الشرفة صعباً، ما هذا القدر حتى باب الشرفة كان مفتوحاً! دخل الشقة بجرأة وكأنه مالكها، أنارها! مسح أغراضها بعينه مستطلعاً الموجودات، لم تكن الشقة تحوي أغراضاً غير صالحة للسرقة، ففي البوفيه وداخل العلب المذهبة كانت الفناجين النفيسة. وكانت الخزائن مليئة بالملابس الفاخرة مدّ يده مباشرة إلى جيب الجاكت وسحب حقيبة النقود المنتفخة والمليئة، وتجمدت عيناه عندما وجدها مليئة برزم من ذات الخمسين والمئة، لذلك لم يكن بحاجة للاستمرار باحثاً في غرفة النوم. سحب ثلاثمائة ليرة فقط وجلس إلى الطاولة كاتباً.

«سيدي العزيز:

دخلت شقتكم بقصد السرقة، كنت بأمس الحاجة إلى ثلاثمائة ليرة، صدقاً سأعيد المبلغ حال توفره لدي».

وضع القصاصه وخرج من الشقة بسهولة مثلما دخلها، وبذلك سيتخلص من لسان زوجته شهراً وسينام مرتاحاً لأول مرة منذ فترة طويلة.

اقترب من منزله فوجد الضوء مناراً، استغرب كثيراً فزوجته في بيت أهلها، ربما عادت، حسناً سيلقي المبلغ في وجهها ويصرخ كي يثبت رجولته. فتح الباب فجأة أشهر في وجهه المسدس: «إرفع يديك!!!»

بينما اقترب منه شخص آخر قائلاً: «ولك! أي إنسان أنت؟» أما فكرت أن لصاً سيدخل بيتك يوماً ما! نحن هنا منذ ساعتين ولم نعر على شيء ألا تخجل!!!

فتشوه فوجدوا المبلغ في جيبه ، أخذوه وانصرفوا.

أشرفت الشمس والرجل يفكر بالأكاذيب التي يمكن أن تنطلي على زوجته ، طرق الباب ، قد يكون الطارق زوجته ، فتح الباب وفرائصه ترتعد رعباً ، لكن المفاجأة كانت كبيرة إذ برجلي شرطة ممسكين باللصين !

إلتمعت عيناه من الفرح ... سأله الشرطي : «النقود لك؟»

شيء ما تحرق في جوفه ، كيف لا وهو السارق أيضاً.

- إن هذين الأحمقين إعترفا أنهما دخلا منزلك وأخذوا النقود بالقوة. إذاً هذه النقود أصبحت من نصيبه ونصيب زوجته.

- ولكن من أين حصلت على هذه النقود؟

صعق الرجل وتغيرت سحنته من هول ماسمع.

... إذاً عرفوا أنه سارق أيضاً.

- إن النقود التي بحوزتك مزيفة يا أفندي.

تهاوى الرجل في مكانه إثر قول الشرطي.

طلب منه الشرطي أن يرافقهم إلى المخفر.



أكره التملق

دخل إلى المركز الصحفي الذي أعمل فيه ، وكنا يومها بحدود تسعة صحفيين وكانت المرة الأولى لذلك لم أعرفه ، ومما زاد استغرابي أن جميع أصدقائي هبوا واقفين ، لذلك وبشكل لاشعوري وقفت . نكزني أحد أصدقائي قائلاً : «هيه إنتبه إنه كاظم بيك !»

ارتعبت كثيراً حتى ظننت أن قلبي هوى إلى ركبتني ، كيف لا؟؟ ! وهو ذاك المليونير الذي يملك الملايين عدا عن ذلك فهو صاحب هذا المكتب الصحفي...

- اجلسوا...!... صرخ كاظم بيك بأعلى صوته .

جلس الجميع إستجابة لأوامره عدا شوقي أفندي فقد ظل واقفاً ، فمن الجدير ذكره أن شوقي أفندي هو رئيس التحرير .
- هيا اجلس فانا لا أحب التملق .

- على رأسي يا بيك ، لنجلس إذا كانت هذه رغبتكم .
إلا أنه ظل واقفاً كالقصبية ، والأنكى من ذلك أنه ضمّ كلتا يديه فوق بطنه ولوى عنقه على كتفه .

من المعروف عن كاظم بيك كرهه الشديد للتملق والمتملقين برافو أحبييه على هذا الموقف الرائع .

تفرست في وجه شوقي أفندي دون أن يشعر بي لأنه كان منشغلاً بتحريك عنقه الملوي مبدياً إعجابه بكلمات كاظم بيك ، لم يكتف بذلك ، بل راح يكرر كلماته المعهودة ، «نعم هذا واجب مقدس على كل واحد منا» .

صرخ كاظم بيك وبأعلى صوته : «هيا اجلس في مكانك...؟»

- نعم يا سيدي سأجلس وأنفذ كل ما تأمرون به .

لكن هذا الصفيق بقي واقفاً ولم يجلس.

ما هذه الصفاقة والوقاحة! كاظم بيك يأمره بالجلوس ويقول إنه لا يحب التملق والمداهنة بينما هذا يقف حائياً عنقه على كتفه مردداً نعم يا سيدي وأمرك يا سيدي ولكن، آخ لو كنت بجانبه لدققت عظامه وصرخت في وجهه بأعلى صوتي: «لَمْ لا تجلس أيها المعتوه...»

غضب كاظم بيك من هذا الموقف وصرخ ثانية: «لَمْ لا تجلس أنا لا أحب التملق ولا حتى المتملقين، هيا اجلس وتابع عملك!...» مرة أخرى راح يكرر نفس العبارات «على رأسي ياسيدي، تأمر أمر، أجلس» وكذلك ظل وقفاً دون حراك.

شدة كاظم بيك من هذا الموقف حتى أنه لم يستطع الحديث إلينا ولا حتى الانصراف لقد لجمه تصرف هذا المعتوه وما كان إلا أن غيّر طريقة تعامله مع شوقي أفندي، وبذلك راح يحدثه بكل لطف ومودة.

- لَمْ لا تجلسون يا عزيزي، تفضلوا بالجلوس يا صديقي، أرجوكم اجلسوا ولا تزعجوا أنفسكم.

أجابه شوقي:

- أستغفر الله يا سيدي، عذابكم راحة لي يا سيدي، أتمنى أن لا أقصر أمام شخصكم الكريم.

لم يستطع كاظم بيك تحمل هذا الموقف وما كان منه إلا أن أطلق ضحكة مجلجلة ملؤها التهكم والسخرية وقال له:

- إسمكم الكريم شوقي أليس كذلك!!!

- نعم يا سيدي. أستغفر الله يا سيدي، أرجوكم يا سيدي، لم أفعل شيئاً بعد.

تأجج الغيظ في داخلي وراحت رغبة عارمة تمزقني وتدفعني كي أصفحه على وجهه وأمسكه من خناقه وأرفعه عالياً وألقيه في مكانه.

كثيراً ما كان أصدقائي يحدثوني عن شخصية شوقي أفندي هذا، والجدير بالذكر أنني حديث العهد في هذا المكتب ولم يمض على تعييني أكثر من شهر.